



خطبة صلاة الجمعة 29/3/2013 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (يا أمّ الشهيد)

الحمد لله، الحمد لله ثمّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلّ فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155 - 157]

أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أحدٌ يدخل الجنة يحبُّ أن يرجع إلى الدنيا -وله ما على الأرض من شيء- إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة». وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الشهداء: «أرواحهم في جوف طير خضرٍ، لها قناديلٌ معلقةٌ بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلّع إليهم ربهم اطلاعاً فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيءٍ نشتهي؟ ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يُترَكوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن نرُدَّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى».

## عنوان خطبة اليوم:

### (يا أمّ الشهيد)

هذه الخطبة مُهداة لكلِّ أمٍّ قضى ولدها مظلوماً شهيداً.  
مُهداةٌ لوالدةٍ رأتْ فِلذة كبدِها يُخَرِّج من تحت الهدم أو الحريق، تناديه فلا يجيب وتدعوه فلا يقوم، وقد كان قبل يطير إليها برّاً وطاعةً.  
مُهداةٌ لأمٍّ اختلط دمعها بدمٍ ولدها، ففاح الدّم مسكاً وتلاّ لألّ الدّمع نوراً.  
مُهداةٌ لأمٍّ أخبروها باستشهاد ولدها، فصبرتْ محتسبةً، فطلبت أن تنظر إليه نظرةً أخيرةً لتضمّه أو تشمّه، فما استطاعوا وصولاً إليه؛ لأنّ شوقه إلى الجنّة لم يدع له وقتاً لوداع من أحبّ في هذه الدُّنيا.

### يا أمّ الشهيد:

رويدك، فقد لحقّ ابنك بركب لا يصحبُهم إلّا من اختاره الله تعالى، فيهم فاروق الإسلام عمر رضي الله عنه؛ إذ كان يدعو: (اللهمّ إني أسألك شهادةً في سبيلك، ووفاءً ببلد رسولك صلى الله عليه وسلم)، فطعنَ - رضي الله عنه - وهو يصلي بالناس.  
وفيهم ذو النورين عثمان رضي الله عنه، رجلٌ تستحي منه الملائكة، استشهاد والمصحف على كَفّيه، وسقطت أوّل قطرةٍ من دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 137].

وفيهم أبو السبطين عليّ رضي الله عنه، كتب مرّةً لأحد أصحابه: (أسأل الله بسعة رحمته أن يوفّقني وإياك لما فيه رضاه، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، إنا إلى الله راغبون)، فأجاب الله دعاءه وقضى شهيداً.

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنى الشهادة بقوله: «والذي نفسي بيده، لو ددت أني أقتل في سبيل الله، ثمّ أحيأ ثمّ أقتل، ثمّ أحيأ ثمّ أقتل، ثمّ أحيأ ثمّ أقتل» [أخرجه البخاري].

### يا أمّ الشهيد:

تعلمين أنّه لا يجوز الحكم على أحدٍ بأنّه شهيد دون دليل؛ لأنّ الحكم بالشهادة حكمٌ بالجنة، وعلم دخول الجنّة عند الله عز وجل، لا يعلمه غيره إلا بإخبار القرآن أو الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

وقد رَوَيْنَا فِي التِّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

وَرَوَيْنَا فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ». فَرَجَوْنَا بِهَذَيْنِ الدَّلِيلَيْنِ وَغَيْرِهِمَا أَنْ يُلْحَقَ اللَّهُ وَلَدَكَ بِرُكْبِ الشُّهَدَاءِ .  
يَا سَلِيلَةَ الْخَنَسَاءِ يَا أُمَّ الشَّهِيدِ:

الْخَنَسَاءُ: تَمَاضَرُ بِنْتُ عَمْرٍو السُّلَمِيَّةُ، صَاحِبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الشَّاعِرَةُ الَّتِي كَانَ يَسْتَنْشِدُهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعْجِبُهُ شِعْرُهَا.  
شَهِدَتِ الْقَادِسِيَّةَ وَمَعَهَا أَبْنَاؤُهَا الْأَرْبَعَةُ، وَمِمَّا قَالَتْهُ لَهَا قَبْلَ الْمَعْرَكَةِ: (اعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]).

فَلَمَّا بَلَغَهَا خَبَرَ اسْتِشْهَادَهُمْ قَالَتْ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مَسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ).  
يَا أُمَّ الشَّهِيدِ:

أَتَعْلَمِينَ لِمَاذَا سُمِّيَ ابْنُكَ شَهِيدًا؟  
قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: (سُمِّيَ الشَّهِيدُ شَهِيدًا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ شَهِدَا لَهُ بِالْجَنَّةِ، وَلِأَنَّهُ حَيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ، وَلِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ تَشْهَدُهُ فَتَقْبِضُ رُوحَهُ، وَلِأَنَّهُ مَمَّنْ يَشْهَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْأُمَمِ، وَلِأَنَّهُ شَهِيدٌ لَهُ بِالْإِيمَانِ وَخَاتَمَةُ الْخَيْرِ بظَاهِرِ حَالِهِ، وَلِأَنَّ لَهُ شَهِيدًا بِقَتْلِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ دَمُهُ، وَلِأَنَّ رُوحَهُ تَشْهَدُ دَارَ السَّلَامِ أَيُّ: الْجَنَّةِ، وَرُوحَ غَيْرِهِ لَا تَشْهَدُهَا إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ).  
وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: (إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَتِيلُ شَهِيدًا لِأَنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ شَهِدُوا لَهُ بِالْجَنَّةِ).  
فَطِيبِي بَذَا نَفْسًا، وَقْرِي بِهِ عَيْنًا.

يَا أُمَّ الشَّهِيدِ:  
أَبْشِرِي، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُهْتَمٌّ، فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟» قُلْتُ: اسْتُشْهِدَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، فَقَالَ: «أَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ

وراء حجاب، وإنه أخى أبك، فكلمه كفاحاً، فقال: (يا عبدي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ)، قال: يا ربِّ، تخيبي فأقتل ثانية، قال سبحانه: (قد سبق مَنِّي أَهْمُ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ)، فنزلت: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 169 - 171].

وفي رواية ابن ماجه قال: «يا رب! فأبلغ من ورائي، قال: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ».

فهل بلغك الآن حال ولدك؟!

يا أُمَّ الشَّهِيد:

رفقاً بنفسك، فمنزلة ولدك - إن شاء الله - فوق ما تتصورين، وأكبر ممَّا له تتمنين؟! أراد الصحابيُّ الجليل عمرو بن الجموح رضي الله عنه الخروجَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى غزوة بدرٍ، وكان يومها مُسِنَّأَ عَرَجٍ، فمنعه بنوه الأربعة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عرجه، فلمَّا كان يوم أُحُدٍ قال لبنيه: منعموني الخروج إلى بدرٍ، فلا تمنعوني الخروج إلى أُحُدٍ، فقالوا: إِنَّ اللَّهَ عَذَرَكَ! فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إِنَّ بَنِيَّ يريدون أن يجبسوني عن الخروج معك، والله إني لأرجو أن أطأ الجنة بعرجتي هذه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ، وَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ»، وقال لَبَّيْهِ: «لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ»، فأخذ سلاحه وولَّى وقال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً، فلما استشهد يوم أُحُدٍ قال صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتَهُ يَطَأُ الْجَنَّةَ بِعَرَجَتِهِ».

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «انظروا فاجعلوا عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو ابن الجموح في قبرٍ، فَإِنَّمَا كَانَا فِي الدُّنْيَا مَتَحَابِّينِ مُتَصَافِيَيْنِ»، ودُفْنَا معاً.

وبعد مضي ستِّ وأربعين سنة على دفنهما وفي حرارة أرض الحجاز، نزل سيلٌ شديد غطَّى أرض القبور، فسارع المسلمون إلى نقل رُفَاتِ الشهداء، فإذا هم - كما وصفهم الَّذِينَ اشْتَرَكُوا فِي نَقْلِ رُفَاتِهِمْ - لَيِّنَةُ أَجْسَادِهِمْ تَتَنَّى أَطْرَافَهُمْ.

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما -وقد ذهب لنقل رفات أبيه عبد الله بن عمرو ورفات زوج عمته عمرو بن الجموح-: (وجدتهما في قبرهما كأثهما نائمان، لم تأكل الأرض منهما شيئاً، كأثهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد وضع يده على جرحه فدُفِنَ وهو كذلك، فأُمِيطَ يده عن جرحه فرجعت كما كانت).

ونحن -يا أمنا- نرجو الله أن يبلغ ولدك مبلغ صحابة الرسول الكريم .  
ولذلك -يا أمنا- بلغ مقاماً تمنّاه السلطان الشهيد، والملك العادل، نور الدين بن زنكي حين قال:  
(قد تعرّضتُ للشهادة غير مرّة فلم يتفق لي ذلك، ولو كان فيّ خيرٌ ولي عند الله قيمة لرزقيها..،  
والأعمال بالنية).

### يا أمّ الشهيد:

حنانيك، فقد مات ابنك بأجله ما تقدّم ساعة وما تأخّر.  
وبلغ ولدك منيته، ما نقص من رزقه شيء ولا زاد.  
وإنّ الله ما أخذَ وله ما أعطى، وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ ومقدار.  
فاهنئي وارفعي رأسك واسعدي أن اتخذ الله من أبنائك واصطفى من يشفع لك ولأرحامه عند الله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد:  
«للشهيد عند الله ستُّ خصال:

- (1) يُغفر له في أول دُفْعَةٍ من دمه
- (2) ويرى مقعده في الجنة
- (3) ويُجار من عذاب القبر
- (4) ويأمن من الفرع الأكبر
- (5) ويُحَلَّى حُلَّةَ الإيمان، ويُزَوَّج من الحور العين
- (6) ويُشَفَّع في سبعين إنساناً من أقاربه».

### يا أمّ الشهيد:

لئن كان أثر في نفسك ما رأيته من فظاعة ميته وشراسة قتلته فاعلمي وأيقني أنّ ابنك ما وجد من مسّ القتل إلا كما يجد أحدنا من مسّ القرصة كما أنبأ بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الترمذي.

### يا أمّ الشهيد:

أَيُّ مَنْزِلَةٍ يَطْمَحُ لَهَا أَحَدُنَا أَكْبَرُ مِنْ مَنْزِلَةِ وَلَدِكَ؟! : «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»  
[مسلم]، وتُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَتَقَلَّبُونَ فِيهَا بَيْنَمَا الْأَحْيَاءُ عَلَى الْأَرْضِ لَا يَزَالُونَ.

يَا أُمَّ الشَّهِيدِ:

أَبَشِّرْكِ بِبَشَارَةِ إِبْرَاهِيمَ الْحَرْبِيِّ الْإِمَامِ الْمُصَنِّفِ الزَّاهِدِ الْمُحَدِّثِ؛ كَانَ لَهُ ابْنٌ حَفِظَ الْقُرْآنَ وَلَقَّنَهُ  
الْفَقْهَ، فَمَاتَ، فَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ يَعِزِّيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ، وَكَأَنَّ صَبِيانًا  
بَأَيْدِيهِمْ قِلَالٌ فِيهَا مَاءٌ، يَسْتَقْبِلُونَ النَّاسَ يَسْقُوْنَهُمْ، وَكَأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ حَارٌّ شَدِيدٌ حَرُّهُ، فَقُلْتُ  
لَأُحْدِثَهُمْ: اسْقِنِي مِنْ هَذَا الْمَاءِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ: لَسْتُ أَبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ، فَقَالَ: نَحْنُ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ  
مَتْنَا فِي دَارِ الدُّنْيَا فَخَلَفْنَا آبَاءَنَا، نَسْتَقْبِلُهُمْ فَنَسْقِيهِمُ الْمَاءَ. [تاريخ بغداد، صفة الصفوة، طبقات الحنابلة]

يَا أُمَّ الشَّهِيدِ:

أَتَحْبِينَ أَنْ تَسْمَعِي صَوْتَ ابْنِكَ الْآنَ يَنَادِيكَ، إِذَا فَاسْمَعِيهِ يَقُولُ:  
أُمَّاه...

أُمَّاه لَا تَبْكِي عَلَيَّ فَمَا عَلَيَّ مِثْلِي الْبُكَاءُ  
أُمَّاه لَا تَبْكِي عَلَيَّ فَيَغْسِلُ الدَّمَاعُ الدَّمَاءُ  
أُمَّاه مَا غَادَرْتُ غَرْزَكَ فِي الصَّبَاحِ وَلَا الْمَسَاءِ  
فَإِذَا دَعَاكَ الشَّوْقُ قَوْمِي وَاشْمَخِي نَحْوَ السَّمَاءِ  
سَتَرِينَ ابْنَكَ مَشْرِقًا وَيَحْفُهُ طَيْبُ السَّنَاءِ  
فَهُوَ الشَّهِيدُ وَأُمُّهُ أُمُّ الشَّهِيدِ وَذَا الْعَزَاءِ

يَا أُمَّنَا.. يَا أُمَّ الشَّهِيدِ:

اصْبِرِي وَاحْتَسِبِي، وَقُولِي: الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ  
آجِرْنِي فِي مَصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، وَأَكْثِرْ لِي مِنَ الدَّعَاءِ لَوْلَدِكَ وَالتَّرَضِّيِّ عَلَيْهِ.

وَأَنْتُمْ يَا أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ:

بُرُّوا آبَاءَكُمْ وَاطْلُبُوا رِضَى أُمَّهَاتِكُمْ، وَمَنْ كَانَ لَهُ أُمٌّ أَوْ أَبٌ فَلْيُلْزِمُهُمَا، وَمَنْ كَانَ مَعَ أُمِّهِ وَأَبِيهِ  
فَلْيَغْنَمْ بَرَّهُمَا، فَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَتَى يَكُونُ الْفِرَاقُ.

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ  
لَعَمْرُ أَبِيكَ، إِلَّا الْفَرَقْدَانِ

جاء رجل إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟  
قال: «أُمُّكَ»، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ»، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ»، قال: «أَبُوكَ».

والحمد لله رب العالمين